معروض إلى محكمة الثقافة الدولية!

زيد قطريب

قصة الملك سرجون الأكادي الموجودة على رقيّم طيني في متحف اللوفر بباريس، ستتحول إلى معروض نقدمه إلى "محكمة الثقافة العالمية" التي سننشئها من أجل ملاحقة المعتدين على التراث السوري سواء بالتحوير أم بالسرقة، وعلى رأسهم أولئك المختبؤون خلف تهمة "معاداة السامية" الذين ارتكبوا القسط الأكبر من جرائم السطو على الثقافة السورية، ومنها قصة الملك سرجون التي نسبوها "للنبي موسى"، وكذلك أسطورة الخلق البابلية "الإينوما إيليش" وقصة الطوفان والأناشيد الأوغاريتية التي وضعوها في "نشيد الإنشاد"!

الأمة السورية تتعرض إلى "التعفيش" أيها السادة، وإذا كان بعض المؤرخين وصفوا عبور هانيبعل لجبال الألب بالعمل الوحشي، وهو تفسير مضحك للتاريخ، فلا غرابة أن تسرق إسرائيل صحن المسبحة والتبولة وقرص الشنكليش، بعد أن سرقت سوريا الجنوبية وغيرت اسمها على خرائط غوغل من فلسطين إلى شيء آخر يشبه الندبة التي لا علاقة له بجسد المنطقة!

من الغريب ألا يفكر السوريون في إنشاء "لوبي" فعّال يسعى لتأسيس محكمة للجرائم الثقافية يكون مقرها محكمة العدل الدولية! لقد تفهّمنا الأسباب التي خذلتنا في معظم الحروب العسكرية، بدءًا من الخيانات إلى السلاح الفاسد وتكالب الأعداء، لكن غياب "أضعف الإيمان" وهو العمل الثقافي، يبدو مريبًا، مع الإشارة إلى الكثيرين ممن يعملون بتفانٍ ليل نهار من أجل هذه القضية، لكننا نتحدث هنا بشكل عام وخلال تاريخ طويل من بقاء أدبيات الأمة في العراء!

وزارات الثقافة في كيانات الأمة السورية، مشغولة بالمهرجانات وطقوس البريستيج وقصّ الشرائط الحريرية في كرنفالات لا تعني البلد في شيء، فيما تغيب مشاريع الترجمات الكبيرة لاستعادة إرث السوريين الأدبي الموجود في مكتبات اليونان والولايات المتحدة وأوروبا، التي حصلنا منها بالصدفة وبالجهود الفردية على أسماء مبدعين لم نكن نعرف عنهم شيئًا. هل من المستحيل تأسيس معاهد لتعليم اللغات القديمة كي ننقل أساطيرنا من ينابيعها الأم؟ معظم الملاحم أعادوا تصديرها إلينا عبر الانكليزية ولا نعرف بالضبط حجم التشويه في المعنى وربما التزوير أو "البسترة". من المسلمات القول في هذا الخصوص إن أبناء البيئة أدرى بترجمة آبائهم لأنهم شربوا من نفس النبع، وامتلكوا ذات الروح.

قديمًا كتبت انهيدوانا- أول شاعرة في التاريخ، وهي ابنة الملك سرجون:

"ضوء القمر المتضائل ينشر على البلاد

ضوء النهار الجارف يملأ كّل بلاد

أيها البيت، وجهك المشع

أفعى عظيمة في هور القصب!"

لم تدر انهيدوانا التي كتبت الشعر قبل هوميروس بألف ومئة عام، أن قمر البلاد ينوس ويذوي.. وأن البلاد غرقانة في العتم! عرفتوا كيف؟